الفصل الأول

مفهوم الزواج

اختلف مفهوم الزواج بين الأمم والشعوب منذ القدم، إلا أن معظم الشعوب تكاد تتفق بأن الزواج هو علاقة سليمة تنشأ بين شخصين سويين وهو الوضع الطبيعي لكل من الرجل والمرأة، فالزواج ينظم العلاقة الجنسية ضمن حدود وضوابط معينة ترتضيها شريعة المجتمع وتقاليده لحفظ سلامة الزوجين النفسية والصحية، وسلامة النسل، فالزواج ضمانة لحقوق كل العائلة، والعلاقات غير المشروعة مجرد هوى وتصرف لا عقلاني يؤدي حتماً إلى فشل الزواج، وسبب الكثير من الأمراض والمشاكل، من أهمها الإنجاب غير المشروع وهو جناية على الأولاد الذين يولدون دون جو عائلي يحضنهم ويوفر لهم الأمان والاطمئنان ويوجههم التوجيه الصحيح ليكونوا بمنأى عن الانحرافات والعثرات، وسعادة الزواج تتوقف بالدرجة الأولى على حسن الاختيار والاحترام والثقة المتبادلة بين الطرفين، وليس على أوهام الهوى أو الهيام التي تزول بمجرد أول اختلاف في المزاج أو السلوك.

١. الزواج في التعليم المسيحي:

لقد اتبع الفكر اللاهوتي الكلاسيكي الإعلان الكتابي فتعرف على ثلاثة أغراض رئيسية، رسم الله الزواج من أجلها.

فالوصية الأولى التي وجهها الله إلى الذكر والأنثى كانت (اثمروا واكثروا) (تك ١:٢٨) وهكذا فإن إنجاب الأولاد قد ترأس القائمة بصورة طبيعية.

ثانياً: قال الله (ليس جيداً أن يكون آدم وحده فأصبح له معيناً نظيره) (تك ٢:١٨). فقد صمم الله الزواج لأجل الرفقة المتبادلة والمساعدة والتشجيع الذي يقدمه كل من الشريكين للآخر في السراء والضراء. لقد صمم الزواج ليكون ذلك الالتزام المتبادل بالمحبة التي تدفع كلاً من الشريكين إلى بذل النفس، ونجد تعبيرها الطبيعي في الاتحاد الجنسي أو صيرورة الاثنين (جسداً واحداً) (تك ٢:٢٤)

"فهذه الحاجات الثلاث تعززت بالسقوط. فالتأديب الحبي في الحياة العائلية أصبح الدعم المتبادل بسبب أحزان عالم مهشم، وأصبح الاتحاد الجنسي أكثر ضرورة بسبب إغراء الفجور. ولكن جميع هذه الأغراض الثلاثة وجدت قبل السقوط. وينبغي أن ينظر إليها كجزء من تدبير محبة الله التي أسست للزواج. وكلما سما إدراكنا لغاية الله بمحبة حنونة، وتوقعات غنية أصبح الآن أنقاضاً. وإن فصم عرى الزوجية هو مأساة دوماً. إنه يناقض إرادة الله، ويحبط قصده، ويجلب للزوج والزوجة آلام العزلة الحادة وخيبة الأمل والاتهامات المضادة، والشعور بالذنب، ويسبب فجأة لدى الأولاد الذين خلفهم هذا الزواج أزمة ذهول، وعدم استقرار وغضب

في كثير من الأحيان"[1].

اللّه هو خالق الإنسان وواضع النظام الأخلاقي له. وإذا فهم الإنسان التعليم الإلهي الذي يركز على حياة الروح أكثر من التركيز على حياة الجسد، تتغير نظرته إلى كافة الأمور الشخصية، والعلاقات الاجتماعية، والزواج، والعمل، والصحة... وبالتالي تصبح أخلاق المؤمن مبنية على قاعدة "المشيئة الإلهية" لا على قاعدة الأهواء الذاتية للبشر حيث يقرر كل واحد ما يناسبه، فالتركيز على حياة الروح التي تفرضها طبيعة الأخلاق المسيحية، وحرص المؤمن على إرضاء اللّه تجعل نظرته لكل الأمور تتحدد ضمن هذا الإطار الديني.

٢. مفهوم الزواج في الإسلام:

اعتبر الإسلام الزواج سُنة الحياة، فقضت حكمة اللّه تعالى أن تكون موجودات الكون أزواجاً ذكراً وأنثى. ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات \٤٩).

إن اللّه شرع الزواج لتكوين أسرة تعيش عيشةً صالحة قوامها الدين والأخلاق والمودة والرحمة. اللّه بحكمته جعل من الأسرة المأوى الآمن الكريم لاستقرار الإنسان:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الروم الآية ٢١)

خلقَ لكم أزواجاً لتسكنوا إليها أي لتستريحوا، فالساكنين تعني

1- جون ستون، المسيحية والقضايا المعاصرة، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٩٩، ص٢٦٤.

المطمئنين أو المستريحين، سكنوا أو تسكنوا أي اطمأنوا واستراحوا، والراحة تؤدي إلى الاستقرار في السلوك والهدوء في النفس. والود أو التودد يعني التحبب أي إكثار الحب بين المحبين. والرحمة تعني، رقَ له وشفق عليه وتعطف وغفر له.

الصِلة الزوجية في الإسلام قوية جداً قائمة على المودة والرحمة والستر: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (سورة البقرة الآية١٨٧)

لأن اللباس هو ستر، ولابسه تعني خالطه وعرف باطنه وألبسه تعني ستره وغطاه، ويقال لبس فلاناً أي تمتع بعشرته ومصاحبته وقَبِلهُ واحتمله.

الإسلام يدعو إلى توطيد العلاقة بين الزوجين والبعد عن الظلم، وليس هذا فقط بل يعتبر أن العلاقة بين الزوجين ليست علاقة مادية ولا شهوانية بل هي علاقة روحية، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ (سورة الرعد الآية ٢٣). المؤمن الحقيقي في الإسلام يعرف ما عليه ولا يتجاوزه كي يصون نفسه وعائلته.

وهكذا يصبح الزواج في تصور الإسلام مسألة ذات علاقة وثيقة بالعبادة التي يتقرب بها المرء إلى الله.

٣. نظرة الفلاسفة إلى الزواج:

يكره الفيلسوف الزواج وكل ما يمكن أن يُقنِعه بالزواج، لأنه يرى في الحياة الزوجية عائقاً لتحقيق غايته... فلا هراقليطس، ولا أفلاطون، ولا ديكارت، ولا أسبينوزا، ولا ليبنتس، ولا كنت، ولا شوبنهور، لا واحد من هؤلاء تزوج... فالاستثناء الكبير الوحيد، هو سقراط الذي تزوج ليثبت وجوب عدم الزواج. يقال أن سقراط لم يتحول إلى فيلسوف إلا

بسبب زوجته التي كانت دائبة الشجار. الفيلسوف يتوق إلى الحرية، وكل نفس حرة ستفكر مثلما حدث لبوذا حين قال: "كم هي خانقة الحياة في بيت، إنه محل الدنس، وترك البيت للحرية". ولم يكن قصد بوذا من ترك البيت حياة الانحلال والمجون إنما كان بهدف التصوف، والتعفف، والبعد عن الضوضاء وصخب العالم. لقد ترك بوذا كل ما يملك وآثر حياة التسول والبساطة والفقر على حياة الرفاهية والمُلك.

وسلوك الزهد بوصفه مثلاً أعلى للسلوك عند معظم الفلاسفة يوحي بكثير من الدعوة إلى الاستقلال، لأن الزهد يزوده بأنسب الظروف للتأمل.

"... أنهم يفكرون في التحرر من الضغط، والتدخل، والضوضاء، والمشاكل، والواجبات والهموم، ينشدون هدوء البال ... وكلنا يعرف الشارات القوية الثلاث لحياة الزهد: الفقر، التواضع والطهارة الجنسية. وحين تفحص في حياة النفوس الخلاقة العظيمة تجد هذه الصفات الثلاث حاضرة بدرجات متفاوتة."[1]

ومع أن الالتزام برأي الفلاسفة يصدر عن إرادة حرة إلا أنه يقلل من مجال الاختيار وأحياناً يلغيه تماماً. إذا اعتبرنا أن الزواج يقيد الحرية.

ويرى نيتشه في القول: "يجب عليك ..." ما يسد الطريق أمام الخلق والابتكار. وعلى الإنسان الأعلى أن يضع : "أريد..." مكان "يجب عليك".. لكي يكون في وسعه بعد ذلك أن يكون قادراً على خلق قيم جديدة. إن ما يخشاه نيتشه هو أن يقف الواجب بوصفه أمراً مفروضاً عقبة دون حرية

1- بدوي عبد الرحمن، الأخلاق النظرية، الطبعة الثانية، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٦، ص١٨٥.

خلق قيم جديدة.[1] والزواج بالنسبة له هو واجب.

ويمكن تقسيم الواجبات بحسب وجهات نظر الفلاسفة إلى واجبات إيجابية، وواجبات سلبية. وقد يقع التنازع بين الواجبات حين يتعارض الواجب تجاه الذات مع الواجب تجاه الغير، فيضطر الإنسان إلى أداء البعض على حساب البعض الآخر.

هكذا نجد أن الفلاسفة آثروا سلوك الوحدة والاعتزال لتحصيل العلم وجني ثمار الحكمة، والتفرغ لحياة الزهد والتواضع والطهارة الجنسية في سبيل الوصول إلى الكمال وإلى المعرفة وبمعنى آخر؛ ترك الحياة الراهنة لصالح الحياة الروحية فالمتصوفون المسيحيون والمسلمون يحتقرون الترف وينشدون التقرب من الله عن طريق مقاومة النزعات الكامنة، وتجنب التوتر، والقلق، وكل ما يؤدي إلى ارتكاب الأخطاء. ومن الصعب أن يتشابه اثنان في الأفكار والرغبات، ولذا لا تخلو الحياة المشتركة مهما كانت مستقرة من بعض المشادات والتوتر.

1- نفس المرجع، ص١٢٩.

obeikan.com